فلسطينيو الارض المحتلة العام ١٩٤٨

الواقع الديمغرافي، والاجتماعي، والسياسي

أمين عطايا

في العـام ١٩٤٨، استطاعت الآلة العسكرية الصهيونية من احتلال ٧٦,٧٠ بالمئة من أرض فلسطين، وأقامت على هذا الجزء الهامّ اسرائيل، بعد ان تمكّنت من تشريد نحو ٧٣٦ ألف فلسطيني من على أرض وطنهم، يشكّلون نحو ٥٠,٢ بالمئة من تعداد الشعب الفلسطيني في ذلك العام. وقد بقي في هذا الجزء المحتل نحو ١٥٦ ألفاً، شكّلوا نحو ١٠,٦ بالمئة من تعداد هذا الشعب[١]؛ كما شكّلوا نحو ١٧,٨٧ بالمئة من اجمالي سكان اسرائيل في نهاية العام ١٩٤٨. وقد ارتفع عددهم حتى اصبحوا، في مطلع العام ١٩٨٨، نحو ٧٩٥ ألف نسمة، يشكّلون نحو ١٧,٩٦ بالمئة من مجموع السكان (بمن فيهم سكان القدس العربية)[٢]. أي انهم ظلوا يحتفظون بمتوسط هذه النسبة، على الرغم من موجات الهجرة اليهودية المتتالية خلال تلك الفترة من الزمن (التي تلت انشاء «الدولة» وحتى مطلع العام ١٩٨٨).

ويمكن القول ان بقاء جزء من الشعب الفلسطيني متشبثاً بأرض وطنه في العام ١٩٤٨ قد شكّل أحـد أبرز جوانب المأزق الصهيوني ومشكلته الديمغرافية، والذي أخذ يكبر، ويتفاقم، مع التطوّر والتزايد العددي لهذا الجزء من الشعب الفلسطيني، حتى صار هاجساً يقضّ مضاجع الصهيونيين. فالآفاق المستقبلية المتوقعة للزيادة السكانية الطبيعية للعرب في اسرائيل، تشير الى ارتفاع تلك النسبة بصورة تصاعدية. ويعتبر بعض الصهيونيين ان التطوّر الديمغرافي لعرب اسرائيل (خاصة بعد ضمّ سكان مدينة القدس الشرقية الى احصاءاتها بعد قرار ضمّها الى اسرائيل في العام ١٩٦٧) يمثّل الخـطر الاسـاس الذي يتهدّد كيانهم العنصري. وفي هذا المجال، كتب الكاتب الاسرائيلي يوحنان رامني، في مجلة «كيفونيم»: «ان المشكلة الاساسية هي العرب داخل ' الخط الاخضر' . فقد ارتفع عدد العرب داخل هذا الخط من ٣٩٩ ألفاً العام ١٩٦٧ الى ٦٩٠ الفاً العام ١٩٨٢ (بمن فيهم سكان القدس الشرقية)، أي بنسبة ٧٢,٩ بالمئة»[٣]. كما أكد البروفيسور الاسرائيلي ارنون سوفير «ان نسبة التكاثر الطبيعي بين العرب في اسرائيل تحتل المرتبة الاولى في سلّم التكاثر الطبيعي في العالم، حيث ان نسبة الولادات لديهم هي ٤,٥ بالمئة سنوياً، مقابل ٢ بالمئة في مصر، و٢,٥ بالمئة في الصين الشعبية، في الوقت الذي لا تتجاوز هذه النسبة لدى اليهود ١,٥ بالمئة؛ كما ان نسبة الوفيّات عند العرب في اسرائيل لا تتجاوز أربعة بالألف، مقابل سبعة بالألف عند اليهود»[٤].

ويتوقع الديمغرافيون الاسرائيليون ان يصل عدد العرب في اسرائيل نحو ١,٢ مليون نسمة في مطلع القرن المقبل، مقابل ٤,١ ملايين يهودي؛ وان نسبتهم سترتفع الى حوالى ٢٢ بالمئة من مجموع السكان داخل اسرائيل في مطلع القرن المقبل[٥].